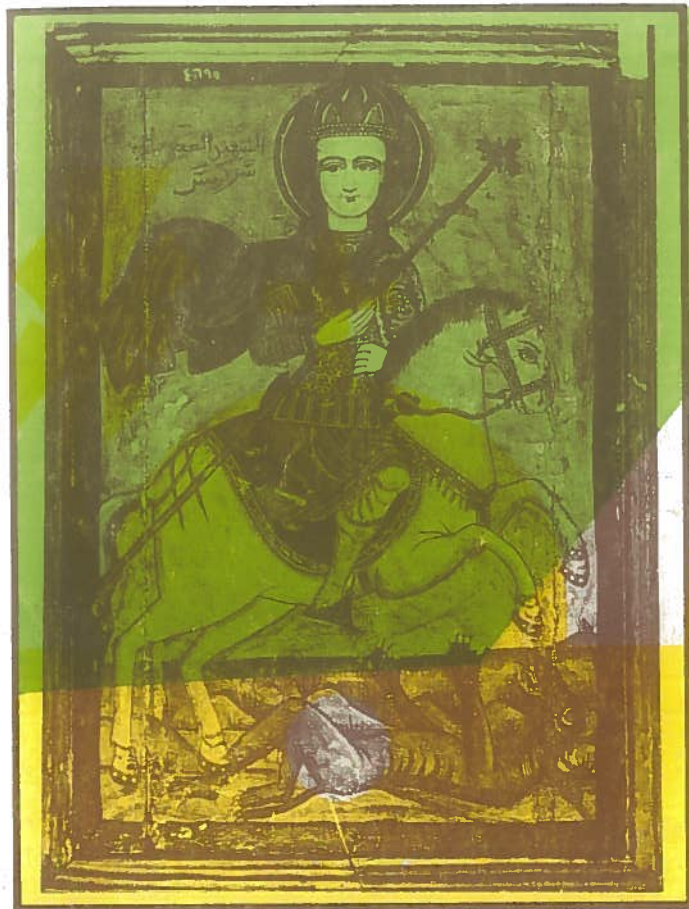


الأثر المصري القديم في الفن القبطي

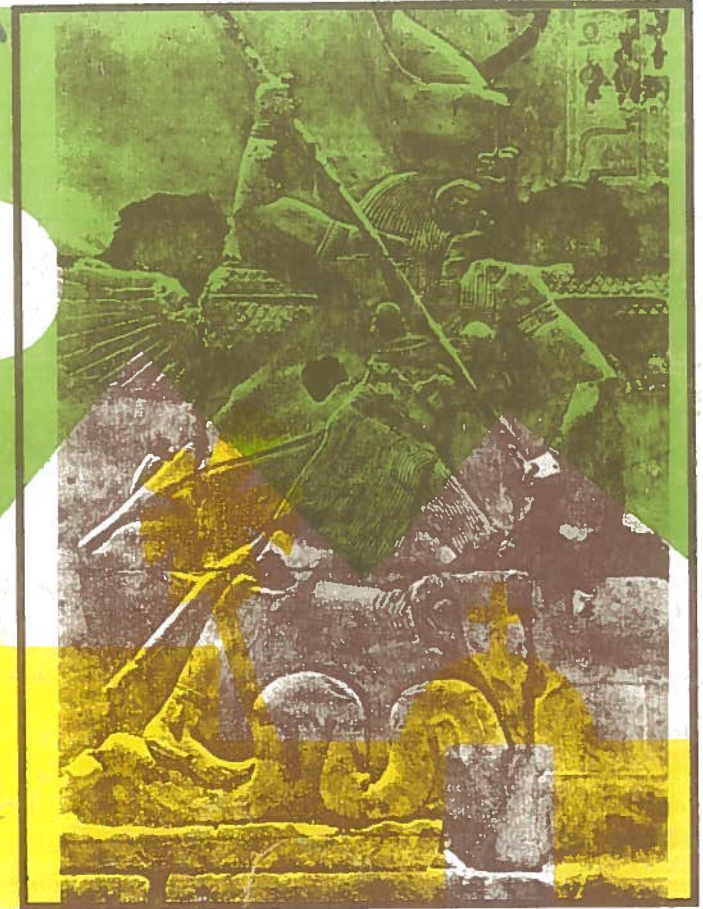


د. رءوف حبيب

مكتبة
المكتبة

الأثر المصري القديم في الفن القبطي

THE CONTRIBUTION OF ANCIENT EGYPT IN COPTIC ART



د. رءوف حبيب

مكتبة
المحبة

MAHABBA
BOOKSHOP
20 KAMEL SEDKY FAGGALLA,
CAIRO, EGYPT, TEL 903825

Dr. RAOUF HABIB

« الأثر المصرى القديم فى الفن القبطى »

أجمع أغلب المؤرخين على أن القبط هم من سلالة سكان وادى النيل القدماء . وعلى الرغم من بعد العهود التى تفصل بين القبط وأجدادهم ، وبالرغم مما عانوا من أحداث الزمان وتقلباته خلال تلك الفترة العريقة فى القسدم الا انهم مازالوا يحتفظون بكثير من التقاليد والعادات التى ورثوها عن الاجداد فى جميع النواحي الفنية والعلمية لدرجة أننا كثيرا ما نشاهد تلك العقائد والمناظر المصرية القديمة وقد تناولها الفنانون القبط بالتمثيل فى رسومهم على الآثار القبطية الباقية الى الآن سواء على القطع الحجرية أو الجصية أو على الافاريز الخشبية المنقوشة أو على اللوحات أو على قطع النسيج أو على الآثار المعدنية أو العاجية وغيرها . وهذه النزعة يمكن أن نراها واضحة تماما فى كثير من قطع الآثار المختلفة المعروضة فى قاعات المتحف القبطى .

فأشكال الصور الغريبة التى نشاهدها على بعض الايقونات والمشاهد النيلية المنقوشة على القطع واللوحات الخشبية وما تحمله من مناظر الحياة اليومية ومنها وقد نحت على الاحجار وعلى أدوات الزينة التى كانت مستعملة فى العصور القبطية المختلفة ، كلها تشابه الى حد كبير ما نراه على بقايا آثار العصور المصرية القديمة . وهذا ان دل على شئ فانه يوضح بلا شك على ان صدى الافكار والعادات التى ورثناها من الاسلاف مازالت باقية واحتفظا بها الخلف حتى عهدنا هذا كما ستوضح ذلك الآثار المبينة بعد :

فاللوحة شكل (١) من الصور الغريبة التى وجدت بين المجموعات الاثرية التى كان يكتنئها أحد الهواة الانجليز الذين كانوا يمتلكون متحفا خاصا فى القاهرة وتوفى منذ سنوات . وكان قد

وهب الصورة المذكورة قبل وفاته بقليل الى مؤسس المتحف القبطى الراحل . وهى تمثل منظرا يجمع بين الغرابه والاهمية فى موضوعه . وقد اظهر الرسام فيه شخصين وجعل رأسيهما مقنعين فى شكل اقرب الشبه الى وجوه الكلاب أو القردة . ومن الغريب أيضا أنه رسم حول الرأسين حالة نورانية مما يبرهن على أن هذين الشخصين قد أسبغت عليهما صفة القداسة أو بعبارة أخرى يعتبران قديسين . وإذا ما رجعنا الى صور الالهة المصرية التى نقشت على المعابد أو المقابر المصرية القديمة أو صورت على أوراق البردى لوجدنا وجه الشبه كبيرا بين رأسى القديسين ورأس الاله « أنوبيس » الذى يرمز الى اله التحنيط عند الفراعنة . (شكل ٢) . وهذا الرسم قد يكون تصويره هكذا فى العصر المسيحى بقصد تمثيل أسطورة ذكرت حوادثها فى تاريخ الكنيسة القبطية . ومهما يكن من شئ فان هذا المنظر يذكرنا تماما بالآثر المصرى القديم الواضح فى آثار العصر القبطى . كما أنه ورد فى الاساطير والمعتقدات المصرية القديمة أن الالهة كانت كثيرا ما تتقمص عادة أمثال تلك الاشكال وتنزل على الارض مقنعة بقصد فحص أعمال الانسان ومراقبة أفعاله دون أن يقطن الى معرفتها .

وكذلك نشاهد ايقونة رائعة المنظر براقة (شكل ٣) وقد كسى فيها الفضاء الواقع خلف الصورة وما حولها بليقة ذهبية شديدة اللعان ويظهر فى وسطها منظر بهى الطلعة يمثل رئيس الملائكة ميخائيل واقفا وقد أبدع الرسام تصويره فى شكل مهيب وفى قدميه حذاء أحكم تزيينه . وهو يقبض بيمينه على صولجان بالغ فى الطول كما ثبت بالقرب من قدمه ثلاث علامات مستقيمة متوازية تشبه فى رسمها الكلمة الهيروغليفية « جد » التى ترمز فى اللغة المصرية القديمة الى كلمة الخلود . كما أمسك فى يده اليسرى بالميزان الذى يمثل الطريقة البدائية العملية التى بواسطتها يمكن أن توزن أعمال البشر على الأرض . وهذه الفكرة هى صدى للعقيدة المصرية القديمة

التي تصور الاله « أنوبيس » وهو يقوم بعملية وزن قلب المتوفى كما يقوم الاله « توت » فى الوقت نفسه بتدوين نتيجة الحساب فى النهاية وذلك فى قاعة محكمة العدل التى يرأسها الاله « أوزيريس » وأمامه الميزان فى العالم الآخر ، كما يتبين ذلك فى الصورة (شكل ٤) .

كما أنه يلاحظ فى المناظر التى تتمثل فيها صور القديسين أو الشهداء وهم يمتطون ظهور الجياد أنهم يسحقون التين أو أشكالا مختلفة كالشعابين الهائلة أو الشياطين برماحهم أو سهامهم كما يظهر ذلك فى الصورتين (شكل رقم ٥) ثم شكل رقم (٦) . وهناك ما يماثل تلك الفكرة الى حد كبير فى المناظر المصرية التى توضح منظرا رائعا يمثل الاله « حورس » وهو يطعن برمح اله الشر والخديعة « الاله ست » وقد ظهر على أحد جدران المعابد بالواحة الخارجة بمعبد الملك دارا الفارسى وكان منظره على هيئة الحية الكبرى أو التين أيضا كما فى الصورة شكل (٧) . ونشاهد فى نفس الوقت أنه كثيرا ما كانت تنقش على لوحات شواهد القبور الحجرية مناظر رسوم مختلفة للصلبان ومنها ما هو محفور على شكل علامة « عنخ » التى ترادف معنى كلمة الحياة عند قدماء المصريين وتؤيد ذلك الصورة شكل (٨) . كذلك المنظر الذى يمثل السيدة العذراء وهى ترضع الطفل المقدس فى الصورة شكل (٩) — ليست هذه تعيد البنا ذكرى الصورة المصرية القديمة التى تبين شكل الالهة المصرية « ايزيس » وهى ترضع ابنها « حورس » كما فى الشكل (١٠)

وقطعة صغيرة لاحد الاغاريز المنقوشة فى احدى كنائس الدير القديمة فى سقارة نلاحظ أنه نقش عليها منظر جميل بارز يمثل صيد الاسماك فى البرك والاحراش . والطريف أن القارب مصنوع على شكل الهلال ويجلس فى وسطه شخص يقوم بالصيد وهو يسحب بخيط سنارته سمكة كبيرة قد تصل الى حجمه تقريبا . وقد لجأ النحات الى تصوير الماء بطريقة طريفة فى تمثيله برسم

سمكتين كما ملا القاع برسم النبات المائي المعروف كاللوتس والبردى ثم هناك بطتان برتان تقفان بالقرب من زهرة كبيرة الحجم من اللوتس كما ظهر خلفهما عشب يحتوى على خمس بيضات خاصة بلا شك بالبطتين المذكورتين شكل (١١) وكذلك شكل (١٢) . ونفس موضوع المنظر المذكور من الفنون والهوايات المألوفة المحبوبة في الفن الفرعونى كثيرا في جميع عصوره كما أنه يوجد كثير من أمثال تلك المناظر بنصها منقوشة على مقابر الامراء ومصاطب الاشراف بسقارة وغيرها .

ثم نشاهد أيضا على وجه مشط عاجى شكل (١٣) بعض النقوش الصورية البارزة وهى تمثيل لمناظر دينية منها بعض معجزات السيد المسيح كشفاء الاعمى واقامة « لعازر » من بين الاموات . ومما يلفت النظر فى تلك الرسوم أن الفنان صور لعازر المتوفى داخل قبره وهو ملفوف بلفائف تشبه نفس الطريقة التى اتبعها الفراعنة من قبل فى تكفين الموميا ، كما يظهر ذلك بالصورة المنشورة على هذه الصفحة . وهذا قليل من مناظر أخرى لا حصر لها فى العصور القبطية المختلفة وما زالت تحتفظ فى روحها بالاثار المصرى القديم بعد مرور آلاف السنين عليها .

ويستخلص من تلك المناظر التى يتبين فيها الطابع المصرى القديم ، والذي يكشف كثيرا من عقائد الفراعنة وعاداتهم أن صداها مازال باقى الاثر على المخلفات القبطية . وهذا يوضح أيضا أن مصر القديمة مهد المدنية الانسانية العجيب ومهبط الحكمة وينبوع الفنون والعلوم ، ستظل دائما لقرا خالدا طوال الدهر وحق عليها قول « هيرودت » المؤرخ اليونانى القديم « أنها لمهد العجائب » .

رعوف حبيب



شكل «١» لوحة عليها منظر يمثل شخصين مقنمين فى رؤوس كلاب أو قرده وحول رأسيهما هاله دليل على انهما قديسان .

Picture showing two persons with dog or monkey heads. The heads are encircled by the halo of sanctity.



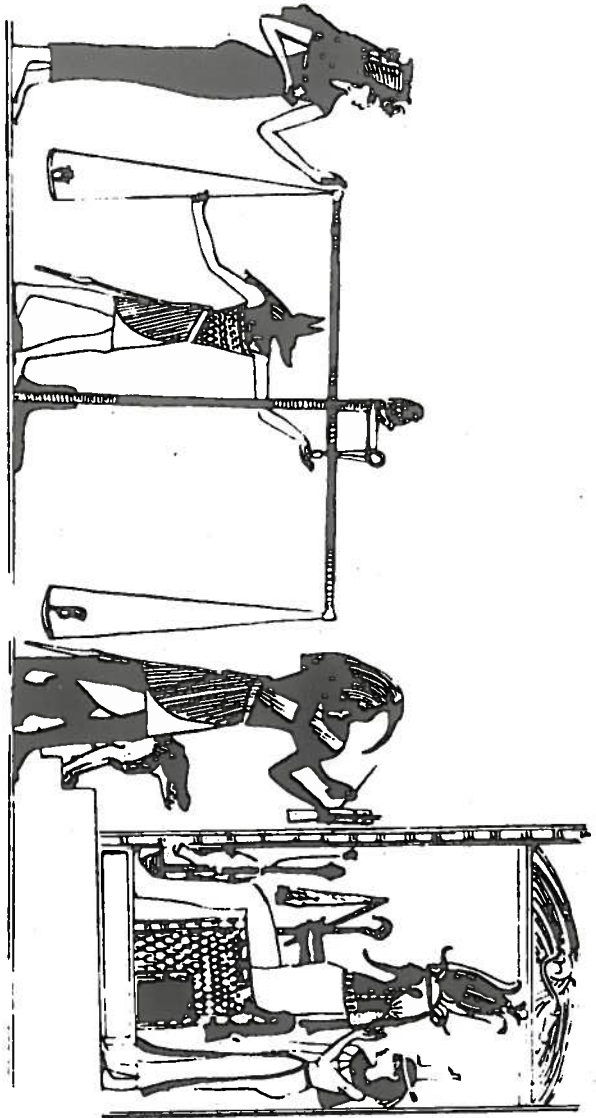
شكل «٣» ايقونة تمثل رئيس الملائكة ميخائيل وهو يقبض على صولجان
بيمنه ويمسك الميزان بيسراه .

Icon of the Archangel Michael holding the balance in his left hand
and the djed cross in his right .



شكل «٢» منظر يمثل الإله انوبيس يقوم بعملية التحنيط
للموتى .

The god Anubis embalming a mummy.



شكل (د) منظر يمثل الإله أوزيريس رئيس محكمة العدل في الآخرة على عرش وادامه الميزان وهو يراقب الإله أنوبيس أثناء قيامه بوزن قلب المتوفى لمعص أعماله في الدنيا .

The god Osiris upon his throne before the balance presiding over the weighing of the heart by Anubis, at the Last Judgment.



شكل (هـ) صورة تمثل الشهيد سركيس وهو يدوس بجواده التنين أو الشيطان وهو شبيه بأله الشر «ست» المصري القديم .

Picture of the martyr Sarkis crushing the dragon or the demon identical with Set, the ancient god of evil.



شكل «٧» منظر فرعونى فريد منقوش على جدران معبد هيبس
بالواحة الخارجة توضح الإله حورس وهو يطعن الحية العظمى
التي ترمز إله الشر «ست».

Iconographic pharaonic scene in the temple of Hibsat
kharga Oasis depicting the god Horus killing the great
serpent, which symbolises Set god of evil.



شكل «٦» منظر يمثل القديس جورج وهو يطعن الشيطان برمحه .

Icon showing St. George spearing the devil.



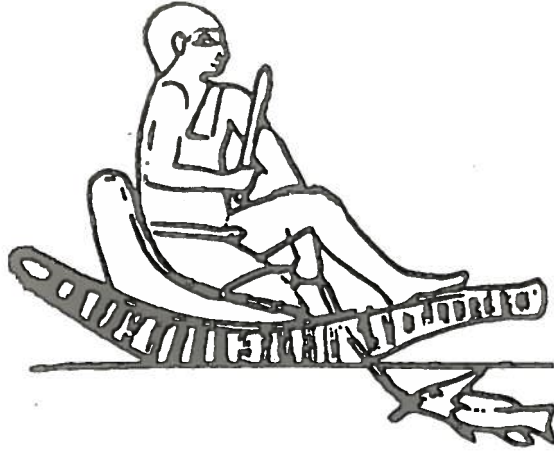
شكل «٩» السيدة المذراء ترضع الطفل الإلهي.

The Virgin sitting upon fer throne and suckling the Divine infant.



شكل «٨» شاهد قبر نقش عليه صليب
اشبه بعلامة «غنج» التي ترادف معنى
الحياة عند قدماء المصريين. القرن
الخامس.

Tomb-stela decorated with a cross
identical with Egyptian sign of life the
ankh. (5th cent).



شكل «١٢» منظر يمثل صياد للمسمك من الدولة المصرية القديمة والقارب على شكل هلال .

Scene of fishing with hook and line from the Old Kingdom.



شكل «١١» جزء من كرنش كنيسة بسقارة من الحجر الجيري عليه نقوش بارزة تمثل شخصا في قارب يقوم بصيد السمك في مستنقع .

Limestone fragment of a church architrave in high relief, representing a person in a little boat fishing in a marshy place.



شكل «١٠» منظر يمثل الالهة ايزيس على عرش وهي ترضع ابنها حورس .

The goddess Isis upon her throne, nursing her son Horus.

All these objects reveal the stamp of the Ancient Egyptian and they help to unveil many of the pharaonic beliefs and customs still living in Coptic antiquities. Egypt will always remain "the land of wonders", as Herodotus, the ancient Greek historian said.

RAOUF HABIB

شكل (١٣) مشط عاج تقوше دينية بارزة تبين معجزات السيد المسيح كخشاء الاعشى واقامة
«لصاغر» من بين الاموات ويشاهد انه في لفائف اثنى بالهولاء الممريه.

Ivory comb carved with religious scenes showing some of Christ's miracles such as
the healing of the Blind and the Raising of Lazarus.



The halos which encircle their heads prove that the two men are saints. Comparing the pictures of Egyptian gods upon tombs or temples, we find that there is a resemblance between the two Saints' heads and that of the god Anubis (Fig. 2). This design was probably intended to represent a legend in the history of the Coptic Church. It reminds us that the ancient Egyptian influence still existed in the Christian era. In the ancient mythology of Egypt, we are told that the gods had the habit of descending metamorphosed upon earth in order to see human actions for themselves.

Upon a polychrome lustre portrait (Fig. 3) the background of which is covered with a bright sheet of gold, stands the Archangel Michael handsomely shod with decorated sandals. In his right hand, he holds the sceptre with three signs fixed at the top, under the form of the hieroglyph djed, symbolising Osiris and eternity. In his left hand he holds the balance by means of which human acts upon earth were weighed. This explains the ancient belief that pictures the god Anubis standing in Osiris's hall of justice (Fig. 4) before a similar balance to show the weighing of the dead man's heart in the afterlife, a ceremony that was the equivalent of the Last Judgment.

Upon pictures showing martyrs and saints (Fig. 5 + 6), we also remark cavaliers crushing the demon or the dragon with their spears or lances. There is a great resemblance to the god Horus spearing "Set", the symbol of evil. (Fig. 7). At the

same time, the ancients frequently sculptured crosses, specially on tomb-stelas, under the form of the ankh, the sign of life in ancient Egypt as it is clearly depicted in (Fig. 8).

The figure of the Virgin (Fig. 9), sculptured on limestone sitting on the throne suckling the Divine Infant, recalls the ancient type of the goddess Isis giving the breast to her son Horus (Fig. 10). On a small fragment of a sculptured arch-volt of a monastery church at Saqqara appears a very interesting fishing scene (Fig. 11) a theme very popular in pharaonic art. In a boat shaped like a crescent sits a man fishing in a marshy place with a short line and pulling out a fish as big as himself. Nothing is done to represent water, but two fishes express it, and in the bottom is full of aquatic plants such as lotus and papyrus. It is most interesting and attractive to note two ducks rest on a gigantic lotus flower, and behind them is a nest containing five eggs, undoubtedly belonging to the two ducks, a pure country scene.

In another similar scene of fishing from the Old Kingdom (Fig. 12), a person is depicted sitting in the middle of a shaped present boat with hook and line pulling out a fish which usually exists abundantly in marshes. Such common scenes are remarked sculptured on the wall-tombs of princes and high officials at Saqqara. On an ivory comb (Fig. 13), carved in relief are iconographic biblical scenes showing the Healing of the Blind and the Raising of Lazarus. What draws the attention in this is that the Coptic artist has figured Lazarus entombed like an Egyptian mummy.

THE CONTRIBUTION OF ANCIENT EGYPT TO COPTIC ART

According to many historians, the Copts are the descendants of the ancient inhabitants of the Nile Valley. In spite of the remote period which separates the Copts from their ancestors and the vicissitudes they have suffered, yet they have maintained, through the ages, the traditions and customs which were inherited from their forefathers. We therefore find that the religious survivals from ancient Egypt were recorded by Coptic artists on objects of stone and wood, on icons, textiles and metals, as can be clearly seen upon the antiquities in the Coptic Museum in Cairo.

The curious figures seen on some icons, the Nilotic motives carved upon wood, the scenes of daily life engraved on stones and toilette objects are very similar to what we see upon objects from ancient Egypt. We see that the echo of ancient thoughts has been preserved by their sons. The objects discussed below reveal this very clearly.

A picture (Fig. 1) was found in the collection of an English amateur, who possessed a private museum in Cairo and who died some years ago. But before his death, he presented the portrait to the founder of the Coptic Museum. It represents a very curious and important scene of two persons whose faces are hidden behind the masks of dogs or monkeys.